الاستاذة قويدر جلول زليخة

محاضرات مقياس اللسانيات الوظيفية

**المحاضرة الأولى:**

**مدخل: المراحل الأساسية للسانيات الحديثة**

يبدو بديهيا أنّ النظريات اللغوية الحديثة بصفة عامة ونظرياتها النحوية (وظيفية أو غير وظيفية) بصفة خاصة لم تظهر صدفة ولم تنضج فجأة، وإنما نضجت بسبب تراكمات معرفية عبر الزمن، فهي بعبارة أخرى نتاج جهود فكرية ذات جذور تعود إلى أصول سبقتها، وفي هذا السياق يبدو أنه من المفيد أن نعرض للمراحل الأساسية التي مرت بها اللسانيات الحديثة لنضع النظريات النحوية الوظيفية في إطارها الزمني من جهة ولتتضح لنا التطورات التي عرفتها هذه الأخيرة من جهة أخرى.

فقد عرفت اللسانيات الحديثة طوال ق20 ثلاثة ثورات كبرى، ثورة بنيوية بقيادة (دي سوسير)، وثورة توليدية تحويلية بقيادة (تشومسكي)، وثورة تبليغية بقيادة (هيمس)، وترجع الإرهاصات الأولى لهذه الثورات إلى التفكير حول العلامة بصفة عامة، سواء لسانية أو غير لسانية، ويعوذ ذلك إلى البحوث الجادة التي قام بها بعض الفلاسفة وعلى رأسهم (شارل بيرس) وبعض اللغويين على رأسهم (دي سوسير).

ثم جاءت مرحلة أخيرة بدأت من أواسط السبعينيات على عرفت بلسانيات الخطاب، وتميزت بمنهجها الذي استنار بفكرة الكلام عند دي سوسير، إذ أصبح موضوع اللسانيات مرتبطا بالشخص المتكلّم وأفعاله الكلامية وطرق استعماله.

1. مرحلة الداليات: ونعني بها التوجّه اللساني الجديد المتمثّل في البنيوية التي ركّزت أبحاثها على تقطيع دوال العلامات اللغوية (سواء كانت كلمات أم جمل) وتفتيتها إلى عناصرها الأساسية لاحثة عن العلاقات المنظمة لها، وقد أحدث هذا التوجّه قطيعة تامّة مع الدّراسات اللغوية التاريخية والمقارنة وأسس لمنهج علمي لساني.
2. مرحلة الدلاليات: وترتبط بالمنهج التوليدي التحويلي الذي ساد الدّراسات اللّغوية في نهاية الخمسينيات وخاصة منذ أواسط الستينيات مع ما عرف بالدلالة التوليدية، وتتميز هذه المرحلة بمنهجها العقلي الذي وجه الدراسة اللغوية وجهة جديدة ، حيث ثار على المنهج البنيوي الذي اكتفى بوصف الظاهرة اللغوية وتصنيفها انطلاقا من مدونة لغوية محدودة، في حين أن منهج تشومسكي الجديد يصف ويفسّر ويعلل ما ظل معروفا بالقدرة اللغوية للمتكلّم والسامع، وهي قدرة لا تمكن من إنتاج مدونة لغوية محدودة فحسب، بل تمكن من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة، وبهذا المنهج رسم تشومسكي اتّجاها جديدا للدّراسة اللغوية.
3. مرحلة التداوليات: وهي المرحلة اللسانية الثالثة التي دشّنها (هيمس) عالم الأجناس الأمريكي، بشنّه هجوما عنيفا على التصوّر التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني. إذ يرى أن اللغة لا قيمة لها ككيان مستقل، فهي ليست قوالب وصيغ وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة كالطّلب والتّرجي والنهي والدعاء...

**موقع النّظريات النحوية الوظيفية من الدراسات اللسانية الحديثة:**

إنّ النظريات النحوية الوظيفية سارت جنبا إلى جنب مع المراحل التي قطعتها اللسانيات الحديثة، فقد انطلق التيار الوظيفي من حلقة براغ في الثلاثينيات من ق20، وبدأ يشقّ طريقه مخترقا كلّ المراحل السّالفة الذّكر، فقد ظهرت مدرستا براغ ولندن الوظيفيتان اللّتان امتدّ تأثيرهما إلى نهاية السّبعينات حيث توجّتا بظهور مرحلة وظيفية جديدة سايرت مرحلة الداليات والتداوليات وتعايشت مع التيار التوليدي التحويلي، حيث ظهرت نظريات نحوية وظيفية داخل النظريات السابقة الذكر.

**المحاضرة الثانية: اللّسانيات الوظيفية في الاتّجاهات الأوروبية:**

لم تستقر اللّسانيات الوظيفية في فترة معيّنة، ويمكن الرجوع بها إلى جهود حلقة براغ، حينما ميزوا بين علم الأصوات والفونولوجيا، وكذا لطرح (ماثيزيوس) للتحليل الوظيفي للجملة المسمّى **بالوجهة الوظيفية للجملة** وتقديم (ياكبسون) مخطّط التواصل، وكذلك تزاحم المدرسة النسقية مع البراغية بالاعتداد بالجانب الوظيفي، إذ يحاول (فيرث) وضع تحليل للغة ينطلق من العلاقة الوطيدة بين اللغة والمجتمع.

**أولا: حلقة براغ:**

ومن روادها: فيلام ماثيزيوس، رومان ياكبسون، نيكولا تروبسكوي، أندري مارتيني وغيرهم من العلماء الذين كانت يد في ريادة هذه الحلقة.

ولحلقة براغ منهج يتميز بدراسة نظام اللغة الكلّي بمستوياته المختلفة النّحوية والصّرفية والصّوتية والتّركيبية والدّلالية دراسة محضة وهذا ما يميّزهم عن باقي المناهج اللّسانية الأخرى، وقد شملت نشاطات هذه المدرسة النشاطات الآتية: الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية، والتّحليل الوظيفي والعروضي ودراسة الوظيفة الجمالية للّغة ودورها في المجتمع والأدب والفنون، ومن أهم الأعمال التي قامت بها هذه المدرسة:

1. إنّ أهم عمل تميّزت به حلقة براغ هو الصوتيات الوظيفية أو علم الأصوات الوظيفي، ويتولى هذا الفرع من اللّسانيات الحديثة دراسة قيمة الصّوت ضمن نظام اللغة، واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها وتحديد كيفية توزيعها، أي البحث في القوانين التي تحكم الأصوات منظورا إليها داخل بنية، أي يحكمها مع غيرها نظام معيّن.
2. أما في ميدان التركيب فمن الاسهامات التي نالت شهرة كبيرة في اللسانيات: الوجهة الوظيفية للجملة، حيث دعا (ماثيزيوس) إلى استحضار **الموقف الكلامي** حين تقسيم الجملة بدل الاقتصار على التقسيم القديم (مسند ومسند إليه)، فالنّاظر إلى الجملة باستحضار الموقف الكلامي يجد أن ثمّة عنصرين أساسيين: نقطة ابتداء سمّاها **(الموضوع)** تشكل المعلومة المشتركة بين المتكلّم والمتلقي، ونواة الكلام سمّاه **(المحمول)** وهو ما يخبر به المتكلّم عند نقطة الابتداء ويحمل شيئا جديدا للسامع، وبناء عليه صارت الجملة تقسّم إلى موضوع ومحمول بدل (مسند ومسند إليه).

ثم طوّر (دانيش) أفكار (ماثيزيوس) مقترحا مقاربة للجملة تميّز بين ثلاثة مستويات لتحليل الجملة (المستوى الدلالي والمستوى النحوي والمستوى الوظيفي) ويمكن توضيح هذه المستويات هذه المستويات بتحليل جملة **(ماري ضربت بيتر)** حيث نجد أن هذه الجملة في مستواها الدّلالي تتكون من حدث ومشاركين **(المنفّذ والمتقبّل والهدف)،** أما في المستوى النّحوي فتتكون من **(فاعل وفعل ومفعول)** أما في المستوى الوظيفي (مستوى تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التواصلي) فإنّها تتكون من **محور (مل يشكل محط الحديث)، وتعليق وهو (ما يتحدّث به عن المحور)** ويشمل الفعل والمفعول، ويرى علماء حلقة براغ أن عناصر الجملة تخضع في ترتيبها لعناصر المستوى الوظيفي.

* لقد ركّز رواد حلقة براغ على الطابع الوظيفي للغة سواء من الناحية النّحوية أو الدّلالية أو الصوتية، وذاع صيتهم خاصة في ميدان الفونولوجيا.

**ثانيا: المدرسة السياقية:**

المدرسة السياقية هي المدرسة التي طوّرها العالم الانجليزي (فيرث)، وهي تقوم على فكرة السّياق، أي تنظر إلى المعنى على أنّه وظيفة في سياق، وهو ما عدّ تحولا في النّظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنّه علاقة بين اللّفظ وما يحيل عليه في الخارج أو في النص من حقائق وأحداث.

لم يقتصر نشاط مدرسة لندن على الدّراسة الصوتية، وإنّما اتّسع ليمتدّ إلى الدّراسة التركيبية، ولقد فرض (فيرث) بناء فكره اللّغوي على ثنائيات دي سوسير، من حيث استحالة تحقيقها من الناحية العلمية، وبرز ذلك في قوله: "بما أنّنا نعرف القليل عن العقل، ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتّفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككل، يفكّر ويتصرّف وسط أصدقائه كوحدة كاملة... إن اجتنابي استعمال هذه الثنائيات لا ينبغي أن يفهم على أني أقصيت مفهوم العقل إقصاء تاما، أو احتضنت الجانب المادي احتضانا تاما لأن جميع العناصر الداخلية والخارجية المادية وغير المادية تسهم في تحديد المعنى وإبرازه."

* فرّق فيرث بين (البنية) و( النظام) محمّلا إياهما دلالة مختلفة عما هو موجود عند غيره، فالبنية تظهر فيها العلاقات الموجودة على مستوى التراكيب المتتابعة، أما النظام فتظهر فيه العلاقات الموجودة على مستوى الاستبدال.
* يتمّ توزيع هذه العلاقات كالآتي:
1. العلاقات الرّكنية: وهي العلاقات الموجودة بين عناصر البنية على مستويات مختلفة منها: العلاقات الصوتية والفونولوجية والعلاقات الدلالية والتركيبية...
2. العلاقات الاستبدالية: وتعني مجموع الكلمات أو المفردات التي يمكن استبدالها ضمن الأنظمة، حيث تمثل كل مفردة عنصرا معينا من البنية، ويمثل النظام مجموعة المفردات التي يمكن أن نختار منها أيّ مفردة.
* أما السياق الخارجي فيرتبط بالظروف الخارجية عن بنية اللغة وبملابساتها المختلفة، التي يتم فيها إنجاز الفعل الكلامي.
* **النحو النسقي :**

يقوم النحو النسقي أو القواعد النظامية كما يسميه بعضهم، الذي أرسى دعائمه فيما بعد (هاليداي) تلميذ (فيرث)، على ثلاثة مفاهيم أساسية: مفهوم الوظيفة، مفهوم النسق، مفهوم البنية.

1. **مفهوم الوظيفة:** وظائف اللغة حسب هاليداي ثلاثة وهي:
* الوظيفة التّمثيلية: تضطلع اللغة بوظيفة تمثيلية للواقع، سواء كان هذا الواقع متمثّلا في الواقع الخارجي، أي العالم الفيزيائي المادي، أو كان متمثلا في الواقع النفسي للمتكلّم.
* الوظيفة التعالقية: وهي الوظيفة التي تعكس من جهة الأدوار التي يقوم بها أفراد جماعة لغوية ما، أي تلك الوظيفة التي تعبّر عن الدور الذي يتخذه المتكلّم مع مستمعه أو مخاطبه، كأن يقوم بدور السّائل أو الآمر أو المخبر في موقف تبليغي معيّن، وتعكس من جهة أخرى موقف المتكلّم أو المخاطب من فحوى الخطاب، كأن يتخذ موقف المتيقن أو المشكك... من المعلومات المتبادلة بينهما.
* الوظيفة النّصية: تؤدي اللغة وظيفة نصية باعتبارها تمكّن المتكلّم والمخاطب من تنظيم الخطاب وفقا لمقتضيات المواقف التبليغية، فتنقل الخطاب من مجموعة من العناصر إلى نص متماسك.
1. **مفهوم النسق:**

يتألّف النسق العام لكل لغة من اللّغات الطبيعية من ثلاثة أنساق تعكس الوظائف الثلاث السابقة الذكر حسب الترتيب الاتي: يطابق نسق التعدية الوظيفة التمثيلية، ويطابق نسق الصيغة ونسق المحور الوظيفتين التعالقية والنصية.

1. نسق التعدية: تقوم الجملة بعدّها تعبيرا عن (حدث) على مفاهيم دلالية كالحدث والذوات المشاركين في الحدث وظروف الحدث، فالمشاركان الأساسيان في الحدث هما الذات المحدثة للحدث (المنفذ) والذات المتأثرة بالحدث (المتقبل) وهناك الذوات التي تقوم بدور ثانوي بالنسبة للحدث، كظرف الزمان أو المكان أو الأداة.
* مثال: **فتح اللص السّيارة البارحة بالسكين** بالنظر إلى نسق التعدية الحدث (فتح)، المنفذ (اللص)، المتقبل (السيارة)، ظرف يدل على الزمن (البارحة)، الأداة (السكين).
1. نسق الصّيغة: تتضمّن الجملة بالنظر إلى نسق الصيغة (قضية) و(صيغة) و(جهة)، فالصيغة يمكن أن تكون إما صيغة (بدليل) أو صيغة (أمر)، وفي الحالتين تكون إما صيغة إثبات أو صيغة نفي، وتتكون القضية من محمول وفاعل وفضة وتوابع حيث تطابق هذه المكونات: الحدث والمنفذ والمتقبل، الأداة والظرف...
2. نسق المحور: الخطاب أو الجملة بعدّهما نصا أي سلسلة من العناصر أو الجمل المنظمة طبقا للموقف التواصلي الذي يمكن أن ينجزا فيه، يتضمنان محورا دالا على محط الحديث، (الشخص أو الأشخاص المتحدّث عنهم)، ومكونا أو مكونات (التّعليق) دالة على الحديث نفسه، كما يتضمنان بالنظر إلى الحمولة الإخبارية مكوّنا أو مكونات (مُعْطَى)، دالّة على المعلومة الممكن استمدادها من السياق اللغوي أو الموقفي، ومكونا جديدا دالا على معلومة لا يمكن استمدادها من السياق.

**ج- مفهوم البنية:** تبعا للمفهومين السّابقين الوظيفة والنّسق يمكن إجمال تصوّر بنية النحو النّسقي حسب هاليداي:

* **يتضمن السلوك الاجتماعي مجموعة من الأنشطة اللغوية تحقق اعتمادا على وظيفة التمثيل للواقع، ووظيفة التعالق بين المشاركين في نفس النشاط اللغوي، ووظيفة تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقامات التواصل.**

وفي الأخير يمكننا التمثيل لكل ما سبق بدراسة جملة كتب المغترب رسالة إلى أمه في المستوى الدلالي والنحوي والوظيفي:

1. المستوى الدلالي: كتب / المغترب / رسالة / إلى أمه

 (حدث) (منفذ) ( متقبل) (هدف)

1. المستوى النحوي: كتب /المغترب /رسالة /إلى أمه

 فعل / فاعل / مفعول

1. المستوى الوظيفي: في المستوى الوظيفي تتضمن الجملة مكونين أساسيين الموضوع والمحمول.

المغترب/ كتب/ رسالة/ إلى أمه

منفذ / حدث / متقبل / هدف تمثل ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ (نسق التعدية)

فاعل / فعل / مفعول

مــــوضوع مــــــــــــــــــــــــــــحمــــــــــــــــــــــــــــــــــــــول

مــــــــــــحور تعليــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــق (يمثل المحور والتعليق نسق المحور)

صيغة قـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــضيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة (نسق الصيغة)

|  |
| --- |
|  |

**المحاضرة الثالثة: اللسانيات الوظيفية في الاتجاهات الأمريكية:**

بدأت البنيوية الوصفية في أمريكا مختلفة عن تلك التي بدأت في أوروبا (لم تكن متأثرة بأفكار دي سوسير)، ولكنّها تتفق معها في أن اللّغة بنية، وأنّ هذه البنية لكي تدرس لابدّ لها أن تحلّل إلى مكوناتها، وكانت البداية الحقيقية لعلم اللّغة الأمريكي على يد (فرانز بواز) الذي أدرك أنّه يتعامل مع لغات تختلف في تركيبها عن اللّغة الهندو أوروبية ومن ثم عاملها بطريقة مغايرة.

أما (إدوارد سابير) فهو رائد البنيوية الأمريكية ومعلّم الأجيال من علماء اللّغة الأمريكيين، فقد برز منهج التّصنيف عنده بروزا كبيرا في أعماله اللّغوية، وهو المنهج الذي ارتضاه اللّسانيون التّوزيعيون الذين أوقفوا الغرض المنهجي للسانيات البنيوية عند حدّ الوصف النّموذجي للصّور اللّغوية، وظلّ الأمر هكذا إلى أن جاء تشومسكي.

 ويبدو أنّ الانتشار الواسع للمفاهيم الوظيفية في أوروبا انتقل إلى أمريكا، وسواء كانت الدراسات الوظيفية الأمريكية مستقلة عن الدراسات الوظيفية الأوروبية أو متأثرة بها، فإنّ الأهم من ذلك هو أن الاهتمام بهذا النوع من الدّراسات ظهر في عزّ ظهور النظرية التوليدية التحويلية، فبعد النجاح الكبير الذي حققته نظرية تشومسكي على البنيوية والسلوكية بدأ الصراع قويا وعميقا بين الاتجاه التوليدي التحويلي والاتجاه الوظيفي، إذ يقوم المنهج التوليدي التحويلي على استقلالية التركيب، ليس عن الوظيفة فحسب بل عن أي دلالة أو تداول، وعليه يكون التفسير غير النحوي كالظروف والملابسات الخارجية ومواقف الكلام وغيرها قليل الأهمية، لأن الظاهرة اللغوية تنضبط من حيث المبدأ بشروط نحوية خالصة قابلة للتشكيل على نحو محكم يتجسد بدقة في القواعد التحويلية، في حين يرى الاتجاه الوظيفي أن الظواهر اللغوية على مختلف مستوياتها تحكمه في الحقيقة من حيث المبدأ عوامل غير نحوية، أي أن جلّ الظواهر اللغوية ليست إلا انعكاسا للوظيفة التّبليغية، وعليه فإن التحويلات والشروط المرتبطة بها لا أهمية لها.

ومهما يكن من أمر فإن الذي يهمنا هو أن المكون التداولي قد دخل نماذج النظرية التوليدية التحويلية حيث أصبحت أجهزتها الواصفة تمثّل للوظائف التّداولية، ومن جهة أخرى فإن النظريات النحوية الوظيفية تميّزت بوجود نوعين من النّظريات، أحدها يشتغل داخل الإطار التوليدي التحويلي، والأخر خارجه ويمثل الاتجاه الأول نموذجي (البراكمانتاكس) و (التركيبات الوظيفية)، ويمثل الاتجاه الثاني (التركيب الوظيفي) و( النحو الوظيفي).

1. نظرية البراكمانتاكس ((pragmantax:

تندرج نظرية (البراكمانتاكس) ضمن النموذج التوليدي التحويلي ضمن (الدلالة التوليدية)، التي يقوم جهاز نحوها الواصف على مبدأيين أساسيين: عدم استقلال التركيب عن الدلالة، واعتبار بنية الدلالة بنية أصلية للاشتقاق، بحيث يمثّل للخصائص المنطقية الدّلالية والتركيبية في بنية تحتية واحدة، هي على التوالي بنية منطقية دلالية تتكون من محمول (فعلي أو اسمي أو وصفي...)، يربط بين عدد معين من الموضوعات (موضوع اول، موضوع ثان...)، حيث تعدّ المحمولات وحدات معجميّة مركّبة تجمع بين دلالة مُدْمِجة ودلالة مُدْمًجة كما يتضح في شكلي الجملة الموالية:

* قتل الشرطي اللّص:

الشكل رقم 1:

 ج

 محمول موضوع اول موضوع ثاني

 قتل الشرطي اللص

الشكل رقم 2:

 ج

 محمول موضوع1 موضوع

 جعل الشرطي ج1

 محمول ( لاحي ) ( اللص) (موضوع)

وبعد تطبيق القواعد التحويلية المناسبة سواء قبل الإدماج المعجمي أو قبله، يصبح ناتج الجملة كالآتي:

 ج

 مركب فعلي مركب إسمي مركب اسمي

 قتل الشرطي اللص

ثم بعد ذلك تُنقل البنية التّحتية أو العميقة إلى بنية سطحية عن طريق القواعد الصوتية الفونولوجية، ويمكن تلخيص بنية النحو في نظرية البراكمنتاكس في الشكل الآتي:

تمثيل دلالي

(بنية منطقية دلالة عميقة)

تحويلات ما قبل الإدماج المعجمي

إدماج معجمي

تحويلات ما بعد الإدماج المعجمي

بنية سطحية

قواعد صوتية

تأويل صوتي

يتضح من هذا الشكل أن النحو في نموذج الدّلالة التوليدية لا يتضمن مكونا دلاليا، لأن الخصائص الدلالية للجملة تبدأ في البنية المنطقية (مصدر الاشتقاق)، فقد عدّت هذه البنية نفسها المستوى الملائم للخصائص التداولية.

1. **ملخص نظرية التّركيبات الوظيفية:**

يبدأ (كونو) صاحب هذه النّظرية بتعريف اللّسانيات الوظيفية داخل إطارها بأنها: " مقاربة لتحليل البنية اللّغوية، تعطي الأهمية للوظيفة التبليغية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتاها البنيوية"

ثمّ يحدّد التّراكيب الوظيفية داخل إطارها بأنها:" أحد حقول اللّسانيات الوظيفية حيث تحلّل البنيات التركيبية على أساس وظائفها التّبليغية."

ولا يربط (كونو) التركيبات الوظيفية بنحو معيّن من أنحاء نماذج النظرية التوليدية التحويلية، لذل يجب في رأيه أن يخصّص أو يفرد مستوى أو مستويات للقيود الوظيفية الضابطة لسلامة الجملة أو السلاسل الجملية، بإضافة مكون خطابي مثلا إلى جانب المكون التركيبي، ترصد فيه القيود المرتبطة بوظيفة التواصل كالمفاهيم التداولية الآتية:

* المعلومة القديمة: يحمل مكون أو عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة القديمة إذا لم يكن واردا في السياق السابق.
* المعلومة الجديدة: يحمل مكون أو عنصر ما من عناصر الجملة المعلومة الجديدة اذا لم يكن واردا في السياق السابق.
* المحور: يشكل المحور المكون أو العنصر الذي يكون محطّ الحديث في الجملة
* البؤرة: يشكل بؤرة في جملة ما المكونات أو العنصر الحامل للمعلومة الأجد.

وقد استدلّ (كونو) علو ورود هذه المفاهيم الوظيفية في تحليل الظواهر التركيبية بعدّة أمثلة نقتطف منها:

المنحدث أ: هل مكثت في النزل بباريس؟

المتحدث ب: أجل مكثت في النزل (لأن صديقي كان خارج المدينة)

ففي سياق هذا التخاطب يمكن حذف المكون (باريس) في الجملة (ب) لأنه حسب (كونو) يحمل معلومة قديمة، في حين لا يمكن حذف المكون نفسه (باريس) في السياق التخاطبي الآتي:

المتحدّث أ: هل اشتريت هذا العطر من باريس؟

المتحدث ب: أجل اشتريته.

فالجملة (ب)ى حسب (كونو) لاحنة، لأن الحذف مسّ معلومة جديدة تتطلبها بؤرة الجملة.

* نستخلص من هذين النظريتين أنّهما يلتقيان في جملة من الخصائص نذكر منها:
* يشكّل كلاهما نموذجا نحويا داخل النظرية التوليدية التحويلية بإدخالهما المكون التداولي( التمثيا للوظائف التداولية داخل البنية العميقة).
* يحتل المكون التداولي الوظيفي موقعا يجعل من قواعده وقيوده قواعدا وقيودا ذات صلة مباشرة يالقواعد والقيود التي يتضمنها المكون الذي يضطلع برصد الخصائص التركيبية.
* ينتمي كلّ منهما إلى الأنحاء ذات الطابع التحويلي تستخدم في الربط بين القواعد التحويلية والبنية العميقة والسطحية.
1. **نظرية التركيب الوظيفي:**

هي نظرية نحوية وظيفية اقترحها في نهاية السبعينات كل من (فان فالين) و(فولي) ويطلقان عليها أحيانا: (نحو الأدوار والإحالة).

تنتج الجملة في هذه النظرية حسب بنيات ثلاث، بنية دلالية (أدوار دلالية)، وبنية تداولية (إحالية) وبنية صرفية (تركيبية)، وتضطلع برصد هذه البنيات الثلاث ثلاثة أنساق من القواعد هي: القواعد الدلالية والقواعد التداولية والقواعد الصرفية التركيبية، ويتم ذلك انطلاقا من المبدأ المنهجي الوظيفي العام القاضي بأن الخصائص التركيبية الشكلية أو الصّورية للعبارات اللّغوية هي منتوج التفاعل القائم بين أنساق القواعد الثلاث السابقة الذّكر أي، أن البنية اللغوية (عبارة أو جملة أو نص) هي انعكاس للوظيفة التّبليغيّة، وهذا بخلاف نماذج الأنحاء التّوليدية التي تجعل المكون التركيبي مستقلا عن المكونين الآخرين (الدلالي والتداولي) للإنتاج البنية الصرفية التركيبية.

1. البنية الدّلالية:

تقوم البنية الدّلالية للجملة في نظرية التّركيب الوظيفي على مفهومين أساسين: مفهوم الأدوار الدّلالية (أو المحورية) ومفهوم انقسام المحمول إلى مجموعة من المحمولات الأولى أو (الأساسية).

يختزل (فان فالين) و (فولي) الأدوار الدلالية لموضوعات المحمول في دورين دلالين أساسيين : دو (العامل) ودور (المتحمل) ويعرفانهما كالآتي:

* يحمل دور (العامل) الموضوع الدال على المشارك الذي ينجز الواقعة التي يدلّ عليها أو يتسبب في إنجازها أو يشرف عليها ويراقبها.
* يحمل دور المتحمّل الموضوع الدال على المشارك الذي لا ينجز أية واقعة ولا يراقبها بل يتحمل أو يتأثر بإنجازها.
* ففي الجملة السابقة (فتح اللص السيارة البارحة بالسكين) يأخذ المكون (اللص) الدور الدلالي (العامل) لكونه دالا على المشارك المنجز للواقعة، في حين أن السيارة تحمل دور (المتحمل) المتأثر بالواقعة المنجزة.
* ويتضح اختلاف مصطلحي العامل والمتحمل الدلاليين عن مصطلحي الفاعل والمفعول التركيبيين، حين يتعلق الأمر بالمحمولات الأحادية، أي المحمولات ذات الموضوع الواحد، التي يحمل موضوعها إما دور العامل أو دور المتحمل، حيث يكون في الحالتي فاعلا، مثلما توضحه الجمل الآتية:
1. انطلق الرياضي
2. رجع المغترب نرمز لها ب (الزمرة 1)
3. نجح الطالب

|  |
| --- |
|  |

1. مرض خالد
2. حزنت زينب الزمرة 2
3. انفتح الباب

نلاحظ أن مكونات (الرياضي، المغترب، الطالب) في الزمرة 1 تحمل وظيفة العامل دلاليا.

وفي الزمرة 2 تحمل المكونات (خالد، زينب، الباب) وظيفة المتحمل دلاليا، غير أن جميع مكونات الزمرتين (1 و2) تحمل وظيفة الفاعل تركيبيا.

وفيما يتعلق بانقسام مدلول المحمول إلى محمولات أساسية أولى، يميّز على سبيل المثال بين مفهوم مفهوم دلالة المحمول الحركي ومفهوم المحمول غير الحركي والمخصص أو الرابط، مثال ذلك المحمولين:

مات: يمكن صياغة بنيته الدلالية كالآتي: ( أصبح لا حي س).

أما المحمول:

قتل: تكون صياغته كالأتي: ((س) يفعل شيئا) جعل ( أصبح لا حي (ص))، حيث جعل يعدّ رابطا جمليا.

كما أن المكونات لا تأخذ جميعها الأهمية نفسها في البنية الدلالية، لذا تميّز نظرية التركيب الوظيفي بين ثلاثة أحياز أساسية: (النّواة)، (الصّلب)، (الهامش)

* يشكل محمول الجملة دائما حيّز النواة، ويشكل صلب الجملة المكونات أو العناصر الأساسية التي تعدّ موضوعات للمحمول، أي تلك المكونات التي تشارك في إنجاز الواقعة أو الحدث، أما هامش الجملة فيتضمن المكونات أو العناصر الدّالة على المشاركيين الثّانويين في الحدث، كالعناصر الدالة على ظروف وملابسات الحدث، مثل الظرف والوسيلة والعلّة...
* وتأسيسا على هذا الطّرح تكون البنية الدلالية التامة لجملتنا السابقة (فتح اللص السيارة البارحة بالسكين)

|  |
| --- |
|  (فتح) (اللص) (السيارة) (البارحة) (بالسكين) |

 النواة الصلب الهامش

* أما ما يسمى بالمخصصات أو الروابط فإنها تتحكم في عنصر أو سلسلة من العناصر شأنها في ذلك شأن الأدوات النافية، حيث تنقسم هذه العناصر بالنظر إلى قطاع الجملة إلى (مخصصات النواة) و (مخصصات الصلب) و( مخصصات الجملة ككل).
* فمخصص (الجهة) يرتبط بحيز النواة حيث يكون مرتبطا بمحمولها دون غيره، أما مخصص (الصيغة) فيرتبط بحيز الصلب، ويعد المخصص الزماني مخصصا صلبيا وهامشيا ، أما مخصص (القوة الأنجازية) فهو مخصص جملي باعتباره مخصصا للجملة كلها.
* وعليه تكون البنية العامة للجملة كالآتي:

 (محمول) (جهة)..... (صيغة).... (زمان) (قوة)

 نواة صلب هامـــــــــــــــــــــش

1. **البنية التداولية:**

يقصد بها البنية المنظّمة على أساس الأدوار التي تحملها مكونات الجملة، حيث تتحكّم في بنية الجملة نوعان من المعلومات: معلومات قديمة ومعلومات جديدة بالنظر إلى حمولة الجملة الإخبارية، إضافة إلى مكون رئيسي يشكّل مركز الاهتمام تبنى عليه بقية مكونات الجملة، يطلق عليه في هذه النظرية (مصطلح القمّة أو مصطلح العماد).

وهناك فرق في هذه النظرية بين مصطلح العماد ومصطلح المحور على ما بينهما من خصائص مشتركة، فالعماد عنصر داخلي من عناصر الجملة ذاتها، في حين أن المحور عنصر خارجي يتموقع خارجها، ويفصل عنها بوقف أو فاصلة، كما يتضح من خلال المقارنة بين الجمل الآتية:

1. المتنبي شاعر
2. عاد السائح إلى بلده

نلاحظ أن المتنبي والسائح عنصران داخليان في الجملة، وهما يمثلان مصطلح العماد.

1. المتنبي، جفاه سيف الدولة
2. السائح، هل عاد إلى بلده؟

نلاحظ أن المتنبي والسائح في الجملتين عنصرين خارجيين عن الجملة وهما يمثلان مصطلح المحور.

1. **البنية التركيبية الصّرفية:**

تنتج البنية الصّرفية التركيبية عن التفاعل الحاصل بين خصائص البنيتين الدلالية والتداولية، ويتجسد ذلك أساسا في ترتيب المكونات وفق الوسم الإعرابي، حيث تتموقع المكونات ذات الحمولة الإخبارية (المعطاة) في حيّز المواقع الأولى من الجملة، في حين تتموقع المكونات ذات الحمولة الإخبارية الجديدة في حيّز المواقع الأخيرة، يتضح ذلك مثلا في تقديم المفعول على الفاعل في اللغة العربية أو في توسّط المفعول بين الفعل والفاعل مثل قولنا: فتح السيارة لص محترف.

فالمفعول يتقدم على الفاعل وفق شرطين تداوليين:

* حين يكون حاملا للمعلومة المعطاة المتقاسمة بين المتكلم والمخاطب
* حين يكون محط الحديث في الجملة، أي مستأثرا على اهتمام أحد المتخاطبين.

أما مفهوم الوسم الإعرابي فيشمل جميع الوسائل التي تستخدمها اللغات في التأشير للوظائف التي تحملها الموضوعات الاسمية الواردة في الجملة مثل: الحركات الإعرابية، الرتبة...

وأخيرا هناك ظاهرة الربط بين الجمل، وهناك 3 علاقات للربط بينها وهي:

1. علاقة إدماج وتبعية مثل: يتمنى الطلاب أن ينجحوا في الامتحان.
2. علاقة تبعية دون إدماج: هل أنهى الطلبة بحوثهم؟ وهل أعادوا الكتب إلى المكتبة؟
3. علاقة استقلال وعدم إدماج: قال الراوي: رحل السندباد إلى جزيرة بعيدة.

**المحاضرة الرابعة: مبادئ اللسانيات الوظيفية:**

1. **أداتية اللغة:**

 تعدّ اللغة في المقاربة الصورية موضوعا مجرّدا أي، مجموعة من الجمل تربط بين مكوناتها علاقات صرفية، تركيبية ودلالية، تقارب اللغة على أساس أنها بنية مجردة يمكن أن تدرس خصائصها في حدّ ذاتها دون النظر عما يمكن أن تستعمل من أجله، أما المقاربة الوظيفية فترى أن اللغة **أداة تسخّر لتحقيق التواصل** داخل المجتمعات البشرية، من هذا المنظور تعدّ العبارات اللّغوية وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معيّنة، وتقارب خصائصها على هذا الأساس، ولتوضيح مفهوم أداتية اللغة نأخذ المثاليين الآتيين:

1. أعطيت هندا كتابا
2. كتابا أعطيت هندا (بنبر كتابا)

الفرق بين الجملة (أ) والجملة (ب) في المقاربة الصّورية هو فرق بنيوي صرف يكمن في لأنّ المكوّن المفعول في الجملة الأولى يحتفظ بموقعه الأصلي بعد الفعل، في حين أنّه في الجملة الثانية محتلا للموقع الصدر أي قبل الفعل.

* أما الفرق بين هاتين الجملتين في أي مقاربة يعتمد مبدأ أداتية اللغة فإنه فرق في القصد أولا يعكسه الفرق البنيوي، فتأخير المفعول في الجملة الأولى يعلّله أن القصد من إنتاج هذه الجملة إخبار المخاطب بمعلومة جديدة غير متوافرة لديه، في حين أن تصديره في الجملة الثانية آيل إلى أنّ القصد من إنتاجها تصحيح إحدى معلوماته، باعتبار هذه الجملة ردّا على الجملة الاتية: بلغني أنّك أعطيت هندا قلما.
1. **وظيفة اللّغة الأداة:**

إذا نحن سلّمنا بأن اللّغة أداة، فما وظيفتها؟

يسخّر مستعمل اللّغة هذه الأداة لتحقيق أغراض متعدّدة، كالتّعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتّأثير في الغير، بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرّد إخباره بواقعة ما، إلا أنّ هذه الأغراض وإن تعدّدت واختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة وهي **تحقيق التواصل.**

1. **اللغة والاستعمال:**

يرتبط نسق اللّغة ارتباطا وثيقا بنسق استعمالها، ويقصد بنسق الاستعمال مجموعة من القواعد والأعراف التي تحكم التّعامل داخل مجتمع معين.

نسقا اللغة والاستعمال نسقان مختلفان من حيث طبيعتهما لكنّما مترابطان، ويتجلّى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدّد في حالات كثيرة قواعد النّسق اللغوي المعجمية والدّلالية والصرفية... وهو ما يعنى به فرع اللسانيات الاجتماعية.

من أبسط الأمثلة في هذا المضمار اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية كجنس المخاطب وسنّه وطبقته ومجتمعه، فالمتكلّم لا يستعمل النمط نفسه من العبارات اللغوية في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة، ومن أمثلته:

لنفترض أن المتكلّم يريد حمل المخاطب على إنجاز واقعة ما، ولتكن مناولته الملح أثناء الأكل:

1. إذا كان المخاطب ذا وضع يساوي وضع المتكلم يستعمل عبارة من قبيل: ناولني الملح من فضلك.
2. وإذا كان المخاطب يعلو وضع المتكلّم يستعمل العبارة من قبيل: هل تستطيع أن تناولني الملح من فضلك؟
3. أما إذا كان وضع المخاطب دون وضع المتكلّم، فيستعمل إحدى العبارتين المباشرتين: ناولني الملح أو قول المتكلم: الملح.
4. **سياق الاستعمال:**

يقتضي التواصل الناجح أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها وسياق الاستعمال سياقان: سياق مقامي وسياق مقالي.

1. يقصد بالسياق المقالي مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين باعتبار أن عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال، ومن أهم مظاهر الترابط بين عبارات النص الواحد ظاهرة العود الإحالي المعروفة التي تربط ضمير ما ومركب اسمي سابق مثل: استعار خالد قلما من عند هند ثم أعاده إليها.
2. أما ما يقصد بالسياق المقامي فهو مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر في موقف تواصلي معين لدى كل من المتكلم والمخاطب.
3. المعارف الآنية هي المدركات الحسيّة (السمعية والبصرية وغيرها) المتواجدة في موقف التواصل ذاته.

ومن مظاهر الارتباط بين العبارات اللغوية والمدركات الحسية، قولك مثلا: ناولني ذبك من فضلك، فما يبرر حذف الشيء المقصود والاكتفاء بالإشارة إليه هو إدراك المخاطَب بوجود هذا الشيء حسيا وتعرفه عليه.

1. أما المعارف العامة فهي ما يشكل مخزون المتخاطبين المعرفي، إذ يسهم هذا المخزون في تحديد سلامة العبارة.

مثل قول المتكلم: إن مقام الشهيد موجود في ولاية تلمسان فهذه الجملة لاحنة لأن السلامة اللغوية ترتبط بسلامة المعارف العامة.

1. **اللّغة والمستعمل:**

يشكّل حمولة العبارة الإخبارية 3 عناصر: أولا فحواها القضوي، ثانيا: القصد من إنتاجها، ثالثا: موقف المتكلّم من الفحوى القضوي.

* من مواقف المتكلّم إزاء الفحوى القضوي الموقف المعرفي (يقين أو شك أو احتمال) مثل:
* إن خالدا سيسافر قطعا
* لا أظن أن خالدا سيسافر
* قد يسافر خالد
* والموقف الانفعالي (تعجّب أو استغراب ...)
* ما أروع هندا في خمارها الأسود
* كيف يهاجم التلميذ أستاذه
* والموقف المرجعي (اسناد فحوى العبارة إلى مرجع خارجي قصد التملّص من مسؤولية تبليغه)
* يبدو أن الحرب ستقوم
* بلغني أن خالدا سيعاقب
1. **القدرة اللّغوية:**

ممّا يقصد عامّة بالقدرة اللّغوية (في مقابل الإنجاز) المعرفة التي يختزنها المتكلّم السامع عن طريق الاكتساب والتي تمكنّه من إنتاج وتأويل عدد غير متناه من العبارات السليمة.

* تنحصر القدرة لدى منظري التيار الصوري في المعرفة اللغوية بمجموع القواعد الصّرفية والتركيبية والدّلالية، وقد تضاف إلى هذه المعرفة معرفة عامة فيتحدّث عن قدرتين: قدرة نحوية وقدرة تداولية، على أساس أن القدرة الأولى مفصولة عن الثانية، وعلى أن أساس أن القدرة النحوية وحدها يمكن أن تتخذ موضوعا للدرس اللغوي.
* أما في التيار الوظيفي فلا تمييز بين قدرة نحوية وقدرة تداولية وإنما هي **قدرة تواصلية**
* نستخلص من كل هذا أن القدرة اللغوية في اللسانيات الوظيفية هي قدرة تواصلية تجمع بين القدرة النحوية والقدرة التداولية.
1. **الأداتية وبنية اللغة:**

لكل المبادئ 6 التي عرضناها أهميتها في تعريف المنحى الوظيفي في الدّرس اللغوي، وفرزه عن المنحى الصوري، إلا أن أهم مبادئ المنحى الوظيفي هي ما لها صلة بعلاقة أداتية اللغة وبنيتها بعلاقة وظيفة التواصل بالنسق اللغوي.

1-7- مشروعية الوظيفة: ترمي كل النظريات اللغوية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها حديثة كانت أم قديمة إلى دراسة بنية اللغة (مستويات ومكونات وعلائق)، فإذا كان هذا المرمى الأساسي فلا مشروعية للحديث عن الوظيفة إلا إذا كانت تؤثر تأثيرا دالا في البنية.

2-7- البنية والتواصل الأمثل: من المعلوم أن عملية التواصل 3 عناصر: المتكلّم والمخاطَب والخطاب، تكون عملية التواصل ناجحة إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطَب وبين تأويله، وهو ما يسعى المتكلّم إلى تحقيقه (في حالات التواصل العادي).

* يمكن إرجاع العوائق البنيوية إلى ما ينتج عن ثلاث عمليات هي: الحذف والإضافة والنقل.
* من أمثلة العوائق الناتجة عن الحذف في الجملة: \* خالد قابلته، ثم القول: \* قابلته. (حذف)

وهي جملة غير مقبولة من شأن المخاطب أن يردها على المتكلم مطالبا إياه بتحديد مجال خطابه.

ومن الإضافات المخلة بالتواصل تعدد الإدماج في الجملة نفسها مثل: قابلت الرجل الذي اشترى السيارة البيضاء التي باعها جارنا صاحب المقهى الذي يوجد بالشارع، وهي جملة يصعب على المخاطَب تحليلها وفهمها.

أما العوائق الناتجة عن النقل فمن أمثلتها: \* إن خالدا شاعر وهو ما يقر به الكل، ملهم، فكلمة ملهم ليست في موقع الأصلي، إذ أن نقلها إلى آخر الجملة قد أضر بمعنى الجملة.

3-7- البنية وأهداف التواصل: يرمي المتكلم من وراء خطابه إلى تحقيق هدفين أساسيين، إما إضافة معلومة غير متوافرة في مخزون المخاطَب أو تعويض إحدى معلومات المخاطب بمعلومة يعتقد المتكلم أنها المعلومة الواردة..

* يظل المكون الحامل للمعلومة المراد إضافتها إلى مخزون المخاطب محتلا لموقع الأصلي داخل الجملة لا يميزه عن باقي المكونات إلا نبرُه كما هو الشأن في الجملة: من زرت؟ زرت **هند**

أما حين يكون المخاطب مقصودا به تقييد معلومة من معلومات المخاطَب أو تصحيجحها فإن المكون الحامل للمعلومة المقيّدة أو المصحّحة يرد مصحوبا بإحدى أدوات التقييد أو متصدرا للجملة مثل: ما زرت إلا هندا، التي زرتها هند.

هذه الأمثلة تبين بوضوح أن خصائص البنية الصرفية التركيبية للعبارة اللغوية مرتبطة بوظيفة التواصل خاصة بالغرض التواصلي المستهدف.

4-7- البنية وأنماط التواصل: للخطاب أنماط مختلفة كما هو معلوم كالحطاب العلمي أو الفني أو الحجاجي...، ويحدّد نمط الخطاب تضافر مجموعة من الوسائط هي: موضوع الخطاب، هدفه، بنيته، أسلوبه، فموضوع الخطاب وهدفه يحدّدان بنيته وأسلوبه.

 المراجع:

أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)،دار الكتاب الجديد، 2010

يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه في العلوم، 2005، جامعة قسنطينة